

# السفالية

## أرجوزة ملاحية فلكية لأحمد بن ماجد

دراسة عن الملاحة العربية على سواحل أفريقية الشرقية

وبين جزرها في القرن الخامس عشر

بحث تحليلي للأستاذ ابراهيم خوري\*

عرض وتلخيص : غزوة بدير

كتب كثير من الباحثين العرب والمستشرقين عن الملاح العربي أحمد بن ماجد، ويلاحظ اعتماد عن الحقيقة والموضوعية في كتابات بعض المستشرقين في دراسة أخبار هذا الملاح العربي الكبير . ولقد ترجمت أعمال ابن ماجد الى لغات عدة مثل الانكليزية والروسية والفرنسية والبرتغالية . ففي عام ١٩٥٧م نشر المستشرق ت.أ. شموفسكي الروسي صورة عن مخطوطة تحتوي على ثلاث قصائد لابن ماجد مترجمة الى الروسية سماها : « ثلاث راهمانجات لأحمد بن ماجد ، مرشد فاسكودوغاما » . وجد شموفسكي صورة لهذه المخطوطة في معهد الاستشراق التابع للمجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي . وكذلك قام الأستاذ غبريل فيران بترجمة كتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » . ولكن يبدو عند قراءة الكتابين أن كثيراً من الأخطاء ظهرت في تحقيقهما . وهنا يجدر بنا نحن العرب المعارفين بحقيقة ذلك أن نصح تلك الأخطاء . ولقد كان الأستاذ ابراهيم الخوري أول من قام بتلك الخطوة الجريئة ليصلح للأستاذ شموفسكي وغيره من المستشرقين ما أخطؤوا فيه . فقد ترجم أرجوزة السفالية الى اللغة الانكليزية وشرحها ، وأظهر من خلال الترجمة بعض ما أدخله بعض المستشرقين حول ابن ماجد من زيف .

\* Centro de Estudos de Cartografia Antiga. As-Sufaliyya « The Poem of Sofala », By Ahmad Ibn Magid Translated and Explained. By Ibrahim Khoury.

تناقش دراسة الأستاذ الخوري أموراً ثلاثة أساسية .

١ - بيان الأبيات المدسوسة في أرجوزة ابن ماجد ، وتحديد ذلك ، ومن ثم رفض النتائج التي ترتبت على هذا المنحل .

٢ - تعريفاً بعلوم الملاحة العربية قبل ابن ماجد وفي عصره .

٣ - بيان قدرة العرب الملاحية على الاهتداء بالنجوم وتصنيفهم للكواكب التي يهتدون بها في رحلاتهم .

هذه الدراسة هي الأولى من نوعها وتتناول في الترجمة تحليل إحدى أراجيز الملاح العربي أحمد بن ماجد مع الإشارة إلى أن بعض المستشرقين قد قاموا بمثل هذه الترجمة ، لكنهم ارتكبوا أخطاء عديدة منها أخطاء النسخ وأبيات مضافة إليها . تحتوي هذه الدراسة إذن على تقويم نص السفالية .

يلج المؤلف في القسم الأول على ناحية جوهرية توصل إليها في تحقيقه هي : زيادة عدد الأبيات الواردة في المخطوطة عما نظمه ابن ماجد . فالعدد المحصى في نسخة ليننغراد ٨٠٧ بيت ، ولم يترجم شموفسكي إلا ٨٠٥ بيت . وأما عدد الأبيات الحقيقي فهو ٧٠١ بيت فقط مثلما جاء حرفياً في الورقة ٩٦ من المخطوط :

هي (١) سبع مائة ، بيت يزيد عنها عن أحمد السعدي أحفظنا

والفرق بين الأبيات الحقيقية والمقمة ١٠٦ بيت . ومنهج المحقق يكمن في أنه :

أ - لا يجوز ، ولا يمكن أن نتحدث السفالية عن أحداث وقعت بعد كتابتها . فكما يظهر كتبت الأرجوزة قبل عام ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م ، فكل ما جاء فيها عن البرتغاليين مقحم ، لأنهم وصلوا إلى المحيط الهندي عام ٩٠٣ هـ فكيف يكتب عنهم ؟ ومما يدعم قولنا انزواء ابن ماجد في آخر حياته في صعدة أو مكة ، مسكنه وكذا ما ذكر في الأبيات المدسوسة من أن البرتغاليين وصلوا إلى جزيرة وازة عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م . إذاً فكل الأبيات التي تتكلم على البرتغاليين مدسوسة وبهذا تبلغ ٦٩ بيتاً من أصل ١٠٦ بيت مقحم .

ب - كما يستنتج النحل من التكرار الخاطيء ، في وصف فروع النيل ، أو من تكرار نجوم هداية في غير موضعها بعد أن سبق الحديث عنها . وتظهر بعض المقاطع المقمة مثلاً : الفرنج ، دلالات الأرض ، نجوم الملاحة وغيرها . ويختلف هذا الأسلوب عن أسلوب ابن ماجد .

١ - هكذا ورد البيت ولتقويم وزنه نرى أن الأصل .

سبع مائة بيت يزيد عنها عن أحمد السعدي أحفظنا بدون الضمير المنفصل وبالوقوف على مائة .

أما القسم الثاني من الكتاب فقد كرس لترجمة السفالية وتحليلها • فصل المحقق الأبيات المدسوسة عن النص ، وترجمها في ملحق في تسع صفحات • وقام بترجمة أبيات السفالية الأصلية حرفياً إلى الانكليزية ، وقسمها إلى فقرات وجمعها في فصول وهي :

- ١ - الخطوط البحرية عبر بحر العرب والتقاؤها في السيف الطويل •
- ٢ - الملاحة من السيف الطويل إلى السواحل
- ٣ - الملاحة إزاء ساحل الزنج والأخوار •
- ٤ - الملاحة الساحلية والملاحة في الباحة مقابل سفالة •
- ٥ - الملاحة بين سواحل افريقية الشرقية وبين جزيرة القمر والجزر الأخرى • ثم خاتمة •

ويشبه هذا التقسيم إلى حد كبير ما قام به ابن ماجد في أرجوزة : « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » التي نشرها الأستاذ خوري أيضاً ، وترجمها إلى الفرنسية عام ١٩٧١ م • ويعبر هذا التقسيم عن سعة اطلاع ابن ماجد •

وآخر أقسام الكتاب هو : الهداية بالنجوم في البحر • وهذا العلم قديم جداً عند العرب • ويعرض ابن ماجد هنا ذروة تطور الهداية ، ويصنف نجومها إلى فئات عديدة :

- أ - نجوم القياس •
- ب - نجوم الأخنان •
- ج - نجوم درجات العرض •
- د - نجوم الأبدال أو التحقق أو الارتكاز •

وكرس المؤلف آخر صفحة من الكتاب ثبثاً بمراجع التحقيق منها ما هو أجنبي ( فرنسي ، إنكليزي ) وما هو عربي •

لقد حاول الأستاذ إبراهيم خوري إزالة كثير من الأوهام مما قيل عن ابن ماجد وهذا ما يجدر بنا نحن العرب أن نقوم بعمله في كل الكتب التي يترجمها المستشرقون •

